كليـــة التربية للعلوم الانسانية
College of Education for Human Sciences

ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: http://www.jtuh.tu.edu.iq

JTUH
مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية
Journal of Tikrit University for Humanities

The Identity of the Modern Expatriate Iraqi Poet

Dr. Abdulkhaliq Salman Jamian

Northern Technical University
Technical institute / Mosul

***Keywords*:**
Original Identity
Immigration Identity
The Character of Mutanabi
The experience of emigration

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received 9 Mar. 2019
Accepted 26 Mar 2019
Available online 6 Dec 2019
Email: adxxx@ tu. edu .iq

A B S T R A C T

The issue of identity is one of the most important issues addressed by the modern expatriate Iraqi poet, as we find that the identity is evident in the poetic text of this poet, perhaps the most prominent ideas of the Iraqi poet expatriate through this manifestation of the dialectical relationship between the identity of this identity and the process of formation, especially the poet in the country is alienated, given the state of alienation from the homeland. Alienated expatriate Iraqi poet vision of broad and deep about the concept of identity and its importance in human life .The first research (the original identity) was concerned with tracing the most prominent features of the original Iraqi identity in the body of the expatriate poet and the motives of its presence strongly in this text, while the second axis (the identity of the expatriate) is concerned with monitoring the new elements and features that are part of the identity imposed by the alternative homeland and research On mechanisms crystallized and formed in the poetic text.

© 2019 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: http://dx.doi.org/10.25130/jtuh.26.2019.4

Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit

الهوية عند الشاعر العراقي الحديث المغترب

د. عبدالخالق سلمان جميان/ الجامعة التقنية الشمالية/ المعهد التقني / الموصل

الخلاصة

تعدّ مسألة الهوية من أهم المسائل التي عني بها الشاعر العراقي الحديث المغترب، إذ نجد أن الهوية تتجلى بشكل ملفت في المتن الشعري عند هذا الشاعر، ولعل أبرز طروحات الشاعر العراقي المغترب عبر هذا التجلي العلاقة الجدلية بين كينونة هذه الهوية وعملية تشكلها لا سيما والشاعر في بلاد الغربة، إذ منحت حالة البعد عن الوطن والاغتراب الشاعر العراقي المغترب رؤية متسعة وعميقة حول مفهوم الهوية وأهميتها في حياة الإنسان.

جاء البحث على محورين؛ الأول (الهوية الأصلية)، وقد أنشغل بتتبع أبرز ملامح الهوية الأصلية العراقية في متن الشاعر المغترب وبواعث حضورها بقوة في هذا المتن في حين عني المحور الثاني (

الهوية الاغترابية) برصد العناصر والسمات الجديدة الداخلة على الهوية التي فرضها الوطن البديل والبحث عن آليات تبلورها وتشكلها في النص الشعري.

مدخل:

لا شك أن التجربة الاغترابية تفرض على الذات الشعرية الإبداعية إعادة التفكير والتأمل في كثير من القضايا الإنسانية الجوهرية، وتأتي قضية الهوية في مقدمة هذه القضايا الإنسانية، إذ تستحث الغربة مخيلة الشاعر وفكره وتستثيرهما للبحث عن كينونة هويته وعناصر تشكيلها لا سيما بعد تموضع هذه الذات الشعرية في فضاء مغاير لهويتها الأصلية / فضاء الغربة ومعاينتها بشكل ملموس لهوية الآخر.

تتناول الدراسات الأدبية الحديثة مفهوم الاغتراب من منظورات مختلفة[١] وما يُعنى به البحث من هذه المنظورات المتنوعة هو ذلك المنظور الذي يتصل بشكل مباشر بالهوية أي المنظور المكاني الجغرافي الذي يرى إن الغربة هي البعد عن الوطن، وبذلك يكون الشاعر المغترب هو " من كان بعيدا عن وطنه وأهله، ومن كان في غير قومه وأرضه، والمغترب: هو من قصد الغربة "[٢]، وعلى الرغم من أن الغربة فعل اختياري حرّ في ظاهره إلا أنه في الحقيقة اختيار يغلب عليه الطابع الإرغام، فالمكان الطبيعي للإنسان يكون في وطنه ووسط قومه وبين أهله غير أن ثمة أسباب تدفعه كرها نحو الغربة قد تكون سياسية أو اجتماعية أو حتى مادية.

تعرّف الهوية بأنها " مجموعة الصفات أو السمات الثقافية العاملة التي تمثل الحدّ الأدنى المشترك بين جميع الذين ينتمون إليها، والتي تجعلهم يعرفون، ويتميزون بصفاتهم تلك عمّن سواهم من أفراد الأمم الأخرى"[٣]، ومن الباحثين من يرى إن الهوية تتمثل في " منظومة من المعطيات المادية، والمعنوية، والاجتماعية التي تنطوي على نسق من عمليات التكامل المعرفية، ولكن لا يمكن لمثل هذه المنظومة أن تكون في حيز الوجود ما لم يكن هناك شيء ما يعطيها وحدتها ومعناها، ويتمثل ذلك في الروح الداخلية التي تنطوي على خاصية الإحساس بالهوية والشعور بها"[٤]، وإذا كانت الهوية لا تكتسب وجودها إلا بوجود الإنسان الذي يشعر بها، فهي – في الوقت ذاته – تمثل قيمة أساسية ملازمة لحياة الإنسان، فـ" الإنسان لا يمكنه العيش بلا هوية تنير دربه، وتريه تفاصيل وجهه ووضوح ملامحه وصفاء دمه، وتعزز وجوده المادي في الحياة"[٥]، ومن المسلمات المتفق عليها بين علماء الاجتماع والنفس أن " تحديد الهوية وإعادة إنتاجها لا يمكن أن يتم بمعزل عن الآخر المختلف"[٦]، ومن هنا نرى إن التجربة الاغترابية تسهم وبشكل فعّال في منح الإنسان رؤية خاصة تجاه هويته تتسم بأنها أكثر حيوية وانفتاح، إذ تنبع هذه الرؤية الخاصة من خصوصية التجربة الاغترابية، فهذه التجربة تمنح الإنسان فرصة الانفصال عن فضاء هويته والانخراط في عالم أو فضاء هوية الآخر، ولا ريب أن هذا التموضع الجديد لا يسمح

للفرد بمعاينه هويته بعيدا عن بيئته فحسب، وإنما يتيح له أيضا فرصة مقارنة هويته بهوية الآخر، وبذلك يتلمس مواطن القوة والضعف في هويته ويختبر أصالتها وعراقتها ومدى حيويتها.

إن القراءة الدقيقة للمنجز الشعري العراقي الاغترابي تكشف عن أن الهوية قد مثّلت ثيمة مركزية في هذا المنجز، إذ شكّلت مسألة الهوية هاجسا مؤرقا لدى الشاعر العراقي المغترب، فلا نكاد نلمح نصا من نصوص هذا المنجز إلا وقد تسربت قضية الهوية إليه.

لا شك أن هذا الحضور المتميز للهوية في المنجز الشعري العراقي الاغترابي هو ما حفز الباحث وشجعه على اختيار هذا الموضوع الموسوم بـ (الهوية عند الشاعر العراقي الحديث المغترب)، وقد تمّت تغطية هذا الموضوع ودراسته عبر محورين؛ الأول (الهوية الأصلية)، وقد أنشغل بتتبع أبرز ملامح الهوية الأصلية العراقية في متن الشاعر المغترب وبواعث حضورها بقوة في هذا المتن في حين عُني المحور الثاني (الهوية الاغترابية) برصد العناصر والسمات الجديدة الداخلة على الهوية التي فرضها الوطن البديل والبحث عن آليات تبلورها في النص الشعري.

١. الهوية الأصلية:

يواجه الإنسان المغترب أزمة حقيقة تجاه هويته الأصلية نتيجة المعطيات الجديدة التي تجلبها الغربة، فترك الإنسان لبيئته الجغرافية والاجتماعية الطبيعية / الوطن، والاستقرار في بيئة جديدة مختلفة / بلاد الغربة تفرض على هذا الإنسان إعادة توزيع الأدوار بين الهوية الأصلية وهوية الآخر، إذ تتراجع الهوية الأصلية من المركز إلى الهامش في حياة الإنسان المغترب، وإزاء هذا التراجع تقفز هوية الآخر (الوطن البديل) من الهامش إلى المركز.

لا شك أن غياب العناصر المرجعية المشكلة للهوية الأصلية نتيجة الغربة يسمح بتآكل هذه الهوية، وينهض عامل الزمن – إلى جانب الغربة – بالدور الفعّال في فك أواصر الهوية الأصلية وتفتيتها، فكلما امتد طول الغربة تفككت الهوية الأصلية وأصابها الضمور، وقد تضمحل وتختفي عند بعض الناس نتيجة هذه القطيعة لا سيما إذا كانت الهوية الأصلية غير عريقة وحاملها يشعر بدونيتها إزاء الهوية الآخر.

إن المتتبع للشعر العراقي الحديث الاغترابي يمكنه بسهولة تلمس الحضور المهيمن للهوية الأصلية فيه، ومما لا ريب فيه أن هذا الحضور جاء ليعبر عن مدى حبّ الشاعر لهذه الهوية وشعوره بالاعتزاز بها والرغبة في الحفاظ عليها والتمسك بها ضدّ عوامل المحو التي يمكن أن تنتجها الغربة، ويبدو جليا أن هذا الحب والاعتزاز نابع من استشعار الذات الشاعرة العراقية بأصالة هذه الهوية ورقيها الإنساني.

يعدّ المكان من أهم العناصر المشكّلة للهوية عند الإنسان ، " ولعل هذا ما يفسر قلق الإنسان وخوفه على المكان إذ هو هُدد؛ لأن تهديد هذا الأخير هو بالضرورة تهديد لكيان الفرد وهويته"[٧]، ويتحدد المكان المشكّل للهوية الأصلية بأنه ذلك المكان الذي ترعرع الشاعر فيه، واكتملت ملامح شخصيته

وهويته فيه من لغة وديانة وانتماء إلى جماعة اجتماعية تجمعها عادات وتقاليد وثقافة واحدة، ويتمثل هذا المكان بالوطن وما ينضوي تحته من مسميات مثل؛ المدن والقرى والأزقة والشوارع والمقاهي...ألخ، ونجد أن الشاعر العراقي المغترب نظر إلى هذا المكان – في الغالب – نظرة حميمية، فمجمل المضامين التي ارتبطت بهذا المكان كانت تدور حول قضايا الحنين والاشتياق والرغبة في العودة إليه.

لا شك أن العودة بالزمن إلى أماكن الاستقرار الأولى هي محاولة لإعادة التعرف على الذات[٨]، وبذلك نستشعر أن عودة الشاعر العراقي المغترب للمكان الذي أسهم في تشكيل هويته الأصلية لم يأتي فقط من أجل الحفاظ على هذه الهوية بل كان أيضا للتأكيد على الذات وإعادة التوازن لها إزاء تخلخلها في الغربة، ولعل هذا ما نلمسه في قصيدة (القرية) للشاعر سعدي يوسف، إذ جسد هذا النص ثيمة ارتباط المكان الذي يولد الإنسان فيه ويعيش صباه بالهوية الأصلية، فالقرية التي تعدّ بمثابة الوطن الصغير الذي يقع داخل الوطن الكبير كانت مصدر تشكّيل الهوية الأصلية لهذا الشاعر، وذلك عبر ما رسبته من قيم ثقافية وتقاليد وأعراف اجتماعية.

" أمس، انتحى بشهادة الميلاد، زاويةً

وقلّب، وهو يلهث، ما تجئ به الخطوط:

العمر

والسنوات

والوجه الصبيّ

وثم قريته ...

احسّ الأرض تحت خُطاهُ ثابتةً

وأن الماءَ يجري

أنّ ذاك الجسر لم يزل الصغير

وبغتةً...

مسّته أغنية الطفولة"[٩]

ينفتح النص في شطره الأول على استحضار الهوية الأصلية من خلال أهم رموزها (شهادة الميلاد)، إذ تحدد هذه الوثيقة الورقية الرسمية الانتماء المكاني والزماني الحقيقي للفرد، ونجد أن اللفظ (انتحى) صوّر بدقة حالة العزلة والاغتراب التي أصابت صاحب هذه الهوية، وقد عبّر تواتر الأفعال في الشطر الثاني عن حالة حركة جسدية محدودة ذات طابع نفسي هدفها مدّ جسور التواصل مع هذه الشهادة / الهوية حتى وأن كان عبر عالم الاستذكار لإعطاء الذات جرعة من الثقة وإشعارها بوجود

روابط انتماء، وعلى هذا الأساس تنطلق المخيلة عبر ما يمكن تسميته تقنية فلاش باك (Flashback) لتجسير الفجوة الزمنية طويلة التي انقطعت الذات فيها عن هويتها الأصلية، وقد رمز النص لهذه الفجوة بـ (العمر، والسنوات) ونجد أن هذه المخيلة ما أن تصل مرحلة الطفولة حتى تأخذ بالتمركز حول البؤرة المكانية (القرية) التي تعدّ الوجه المصغر للوطن / الهوية الأصلية، " فالشاعر (سعدي يوسف) من أبناء قرية (حمدان) التي تأثر بها فكانت هويته وأصالته"[١٠]، ونلحظ بمجرد وصول المخيلة إلى (القرية) تبدأ الذات الشاعرة باستعادة توازنها النفسي (احسّ الأرض تحت خُطاهُ ثابتةً)، ويبدأ النص باتخاذ منحى ثاني يتسم بالثقة والانبساط والإيجابية.

يستقطب الشاعر عبدالوهاب البياتي في قصيدة (انتظار) المكان المرتبطة بهويته الأصلية، ونلحظ أن الشاعر قد عمد عبر هذا الاستقطاب على تأكيد هوية المكان الأصلية من خلال تأثيثه برموز حياتية إنسانية وغير إنسانية تتعلق بهذه الهوية مثل؛ الأب / الكلب / شيخ الحارة / شجيرة الليمون / صبية الجار.

" ورسائلي وأبي وأزهاري

وكلبنا الضاري

يعوي، وعينا شيخ حارتنا

مصلوبتان على لظى النار

وشجيرة الليمون يسرقها

مهما تعالت، صبية الجار" [١١]

يستخدم الشاعر في عملية تأثيث المكان تقنية (المونتاج)، وتعني هذه التقنية بالعرف السينمائي "القطع المستند على ترتيب مثير للقطات والصور السينمائية من أجل خرق الاستمرارية السردية وتوجيه الانتباه إلى الصنعة السينمائية"[١٢]، فالمقطع الشعري ينقل لنا صور تبدو للوهلة الأولى مفككة قائمة على مزج خليط من الصور المتباعدة (الأب / الكلب / شيخ الحارة / شجيرة الليمون / صبية الجار) إلا أن التمعن بدقة في هذه الصور يكشف عن ارتباطها بخيط خفي، فلا يمكن النظر إلى عملية انتقاء هذه العناصر بالذات ووضعها في النص الشعري بهذه الصورة على أنها عملية اعتباطية بل هي مقصودة والهدف منها هو تجسيد رغبة الشاعر في ترسيخ انتماءه إلى الهوية الأصيلة.

جاء المكان المعبر عن الهوية الأصلية في المتن الشعري العراقي الاغترابي بصور شتى غير أن الملفت للنظر هو اقتران حضور هذا المكان بالحلم، ونجد أن هذا الحلم عند الشاعر لا يطول، إذ غالبا ما ينقطع باصطدامه بمنبهات الواقع، ففي قصيدة (يوليسيس) يقول الشاعر عدنان الصائغ:

" على جسرِ مالمو

رأيتُ الفرات يمدُّ يديهِ

ويأخذني

قلتُ أين

ولم أكمل الحلم

حتى رأيت جيوش أمية

من كلِ صوبٍ تطوقني"[١٣]

يتحدث النص عن دخول الشاعر في عالم الأحلام عبر بوابة حلم اليقظة، وحلم اليقظة يتحقق عندما " يكون الإنسان شارد الذهن قاطعا بينه وبين العالم الخارجي ما استطاع من الصلات والعلاقات غارقا في بحر من الهواجس والأخيلة"[١٤]، ويبدو أن تشابه المنظر الطبيعية للمكان هو ما أثار مخيلة الشاعر لسحبه من عالم الوعي/ الواقعي في بلاد الغربة إلى عالم اللاوعي / حلم اليقظة بالوطن أو البلد الأصلي للشاعر.

إن الأحلام – حسب المنظور الفرويدي – هي تجسيدات لرغبات مدفونه تسعى الذات إلى تحقيقها[١٥]، فالشاعر هنا يسعى لتحقيق رغبته التي تكمن في الاتصال بالمكان المحبب الفرات / الوطن غير أن هذا الحلم سرعان ما ينقطع بمنبه الخوف من السلطة المسيطر على المكان الأصلي، ومن هنا نجد أن الشاعر يعود إلى وعيه، والشاعر في هذا النص لا يسعى إلى تأكيد انتماءه بالهوية الأصلية عبر استحضار المكان المعبر عن هذه الهوية فحسب، وإنما يسعى إلى إدانة السلطة السياسية عن طريق تحميلها المسؤولية الكاملة عن غربته وانقطاعه عن وطنه وهويته.

لقد وصل حب الشاعر للمكان الذي أسهم في تشكيل هويته الأصلية إلى مقاربته بصور شتى تتوزع بين الربيع والجنة واليوتوبيا، ولعل هذا ما نلمحه في قصيدة " نصوص رأس السنة" للشاعر عدنان الصائغ، إذ يقول فيها:

" كلّ عام

الأذرعُ تتعانقُ

وانا احدّقُ

عبر نافذة المنفى

إلى وطني

كعصفور يرمي نظرتهُ الشريدة

إلى الربيع

من وراء قضبان قفصه" (١٦)

يتحدث النص عن حالة الاغتراب التي تصل ذروتها في لحظة رأس السنة الميلادي، إذ يصف الشاعر الموقف بعين الكاميرا فاللقطة الأولى تنقل صورة من الدفء (الأذرع تتعانق) لتنتقل اللقطة الثانية في تمركزها نحو الشاعر في تجسيد حالة من الانفراد والغربة وتأتي اللقطة الثالثة لتجسيد الغربة والاشتياق للوطن بصورة عصفور حبيس ينظر إلى الربيع ، وعلى هذا فان الربيع الذي يحمل دلالات الحياة شكّل رمزا موازيا للوطن الذي يجسد الهوية الأصلية للشاعر.

ينطلق مفهوم الهوية الأصلية عند الشاعر أحمد مطر من منطلق عميق، إذ سعى من خلال نصوصه إلى معالجة إحدى الآفات التي أصابة هذه الهوية وتتمثل هذه الآفة بتبعية أبناء الوطن لهويات أخرى، فنراه يرصد هذه الآفة في قصيدة (شؤون داخلية).

" وطني ثوبٌ مرقّع

كل جزء فيه مصنوع بمصنع

وعلى الثوب نقوس دموية

فرّقت أشكالها الأهواء

لكن

وحدت ما بينها الهوية

.....

فرقتنا وحدة الصف

على طبلٍ ودفّ

وتوحدنا بتقبيل الأيادي الأجنبية

عرب نحن .. ولكن

أرضنا عادت بلا أرض

وعدنا فوقها دون هوية" (١٧)

يتحدث النص صراحة عن رفضه للتبعية ويأتي هذا الرفض لأنه لا يسهم فقط بجلب الدمار والخراب والحروب والموت للوطن ولكنه أيضا يكون سببا رئيسا في ضياع الهوية الأصلية، واندثار ملامحها.

٢. الهوية الاغترابية:

يدشن الشاعر مرحلة جديدة تجاه هويته عن انخراطه في تجربة الغربة، ويمكن تسمية هذه المرحلة بمرحلة التحولات انطلاقا من السمة المهيمنة على الهوية في هذه المرحلة وهي سمة التحول، فانقطاع الهوية عن المصادر المشكلة لها واتصالها بعناصر جديدة تجلبها الغربة يؤدي إلى دخول الهوية في طور النمو والاتساع، إذ إن الغربة تنمي لدى الشاعر الشعور بالاختلاف الذي " يعدّ أساسيا من أجل وعي الهوية ونموها"[١٨].

تميزت هوية الشاعر العراقي المغترب بالانفتاح واستقطاب الخصائص الإيجابية التي تكشفت أمامها في هوية الآخر، فالهوية التي أنتجتها الغربة عند هذا الشاعر مزيج بين الهوية الأصلية وهوية الآخر، وعلى هذا الأساس لا نجد تفكك تام في الهوية الأصلية بالصورة التي تصل حدّ الذوبان والتلاشي في فضاء هوية الآخر، وفي الوقت نفسه لا نلمس موقفا صلبا جامدا عند هذه الهوية يتسم بالرفض التام للهوية المغايرة، وبذلك نمت هوية الشاعر العراق المغترب وتطورت عبر إعادة صيرورتها وتكوينها بالشكل الذي اكتسبت فيه ملامح جديدة هي حصيلة الجمع بين سماتها الأصلية والسمات الدخيلة، وهذا الجمع هو ما دفعنا إلى اجترح تسمية (الهوية الاغترابية) لهذه الهوية المتطورة النامية.

إن الفحص الدقيق لمعطيات تشكّل الهوية العراقية الأصلية تجعل قضية قبول الشاعر العراقي المغترب لهوية الآخر أمر طبيعي، فالهوية الأصلية / الهوية الوطنية العراقية جمعت تحت لواءها هويات فرعية متنوعة، ونجد أن السجل التاريخي لهذا للمجتمع العراقي يحفل بصور من التعايش السلمي والتسامح وتقبل الآخر، فالهوية الوطنية العراقية هي مجموعة من الهويات الفرعية المختلفة التي تآلفت وتوافقت فيما بينها، وقد نظر المجتمع العراقي إلى الهوية الوطنية على أنها حاضنة تجمع وتوحد الهويات الفرعية، وعلى هذا الأساس واجهت محاولات الرفع من قيمة الهوية الفرعية على حساب الهوية الوطنية بالرفض من قبل الشاعر العراقي الحديث – لا سيما الشاعر المغترب[١٩]- فهؤلاء الشعراء ادركوا بوعيهم العميق أن " الرابط الذي يجمع ويوحد أبناء الوطن هويتهم الوطنية، وهذا لا يعني أن يتخلى الناس عن هوياتهم الفرعية وخصوصياتهم الدينية والأيدولوجية وغيرها، بل إن الهوية الوطنية تحفظ لهم هذه الخصوصية شريطة أن لا يتعصب لها على حساب الهوية الوطنية"[٢٠].

تضع الأمكنة بصمتها على هوية الفرد، فالهوية ترتبط بوعي الذات والمكان وهي لا تكف عن التغير والتطور بقدر ما تتغير الأمكنة وظروفها الشاملة[٢١]، وعلى هذا الأساس تنمو هوية الشاعر عندما يغادر بلده ويحط رحاله في بلاد أخرى.

لا شك أن الشاعر عندما يكتب نصا شعريا عن مكان معين فهو لا يقصد وصف المكان بقدر ما يهدف إلى وصف ما انطبع من مشاعره عن هذا المكان، فالشاعر – على وفق منظور بلاشير – يمارس السلوك الإسقاطي (projection) على المكان[٢٢]، ويبدو ذلك جليا في النصوص الشعرية التي تتحدث

عن المكان البديل عند الشاعر العراقي المغترب، إذ نجد أن علاقة هذا الشاعر مع هذه الأمكنة تأتي غالبا متوترة تحمل دلالات عدم الألفة والتوجس.

قصيدة (في أحوال الغربة والتغرب) نجد أن الشاعرة ميّ مظفر ترفض الارتباط بالمكان البديل لأنه يغير ملامحها / هويتها.

" على طرف قصي من جناننهم

جلسنا نحن مغتربا ومغتربه

نحاول أن نرمّم روحنا ..

ملامحنا التي بدت تزول" [٢٣]

الشرفة من الأمكنة المحببة في الأدب العربي الحديث، إذ يأتي في الغالب مرتبطا بحمولات دلالية إيجابية منها عاطفية تتصل برؤية الحبيبة أو نفسية فهي رمز للإطلالة على عالم مفتوح، غير أنها عندما تتموضع بوصفها ركنا من أركان المكان البديل تتحول عند الشاعر سعدي يوسف إلى مكان محير ومثير للقلق والإزعاج.

" هذه الشرفة اللعينة في المبنى الموازي

تكاد تسكن وجهي...

هذه الشرفة التي قابلتني منذ شهر

أحار فيها

وأدنو من تفاصيلها

ولكنني أرتد عنها، مضنى، حسيرا" [٢٤]

النص الشعري " يسعى دائماً إلى خلق شكل وتأسيس تأثير جمالي خارج البعد التداولي"[٢٥]، ومن هنا لا يمكن التعامل مع مدلولاته تعاملا مباشرا، وعلى هذا الأساس يمكن النظر إلى الشرفة على أنها رمز للهوية – لا سيما في صورتها الاغترابية – وما القلق الذي تثيره هذه الشرفة سوى القلق الوجودي الذي تنتجه الهوية الاغترابية وهي في مرحلة إعادة التشكّل والنمو.

تعدّ اللغة من أهم العناصر المشكلة للهوية عند الإنسان، فـ" إذا كانت كينونة المكان الجغرافي التي تشكّل العامل الأساس في تكوين مركزية الانتماء وجودا بالقوة، فإن اللغة هي الوجود الفاعل الذي يكسب هذه الكينونة هويتها، ويمنحها خصوصيتها، ويحرضّها على إنتاج ثقافة المكان"[٢٦]، ونجد أن ظاهرة ازدواجية اللغة في النص الشعري الاغترابي قد مثّلت ظاهرة متميزة أثبتت وجودها من خلالها الهوية

الاغترابية، والمقصود بازدواجية اللغة هنا هو باستعانة الشاعر بلغة البلد البديل مع لغته الأصلية (العربية) في كتابة النص الشعري.

تعدّ قصيدة (عودة الابن الضال إلى البيت) للشاعر فاضل العزاوي مثالا جيدا على تشكّل الهوية الاغترابية عن طريق استعانة الشاعر بظاهرة ازدواجية اللغة، إذ يقول فيها:

" ويحملني بين ذراعيه

ثم يأخذني ليغسل وجهي قرب البئر متمتما:

Wohin des ? du stehst am ufer hier.

Ich bin bereit. Dich den fiuss zu tragen.

أنظر هو ذا الصبار قد نما في حديقتنا

وزهرة عباد الشمس قد كبرت من جديد.

مقرفصا ينثر ذكرياته أمامي في التراب

باكيا الطفل الذي كنته ذات مرة

To see a world in a Grain of Sand

And a heaven in a Wild Flower

Hold Infinity in the palm of your hand

And Eternity in an hour

آهٍ، قل لي من قادك إلى وادي الأشباح" [٢٧]

كرّس الشاعر العراقي المغترب وهو في طور إعادة البحث في هويته جهده للكشف عن السلبيات التي حملتها هوية الأصلية، ولعل من أهم هذه السلبيات التي شنّ الشاعر المغترب حملاته عليها هي ظاهرة تجنيد السلطة للمثقف وجعله تابعا لها عن طريق شراء ذمته بالمال، وقد تمتّ معالجة هذه القضية عن طريق مقاربتها بظاهرة التكسب في الشعر، ولعل هذا ما نجده في قصيدة (بحكم العادة) للشاعر فاضل العزاوي.

" في مصعد بناية أوربا سنتر في برلين

وأنا ذاهب إلى طبيب أسنان يوناني شهير

يقيم في الطابق الخامس عشر

ليقلع لي آخر أضراسي

تشبث بأذيالي أعرابي

ترك حصانه في الممر

يرعى الأعشاب الاصطناعية

وراح يصرخ بصوت عال:

أنا المتنبي، أنجدني!

كان المسكين يتضور جوعا"[٢٨]

يرتكز هذا النص الشعري في بنيته الهيكلية على تقنية القص، إذ ينطلق من تحديد الفضاء المكاني مركزا على الكشف عن العناصر الجغرافية التي تعبر عن تموضع الذات القاصة في البلد البديل وقد تجسد ذلك من خلال تواتر المفردات المكانية (أوربا، وبرلين، ويوناني)، ونجد أن الشاعر قد عمد على خلق انطباع بأن هذا المكان تسوده مظاهر الحضارة والرقي عبر تأثيثه بأدوات تجسد التطور والرفاهية (مصعد / الطابق الخامس عشر / الأعشاب الاصطناعية).

رافق تحديد المكان رسم ملاحم الشخصيات البارزة في النص، ونلمس عبر هذا الرسم طرح النص قضيته الأساسية (الهوية)، إذ جسدت شخصية طبيب الأسنان هوية الأخر، وقد عبرت الذات الشعرية القاصة عن الهوية الاغترابية في حين رمزت شخصية المتنبي إلى الهوية الأصلية المصابة بعلة الخضوع للسلطة من أجل المال.

يثير استدعاء (المتنبي) وهو رمز من رموز الهوية الأصلية عند العزاوي بهذه الصورة الساخرة الأقرب ما تكون إلى الصورة الكاريكاتيرية فضول المتلقي وحيرته إلا أن هذا الفضول والحيرة سرعان ما ستتبدد بتقدمنا في النص.

" فاقترحت عليه أن أدلّه على مستشرق

كان يحفظ أشعاره عن ظهر قلب

ليقرضه بعض المال

غير أنه رفض

طالباً أن أقوده إلى ملك الألمان نفسه

ليمدحه بقصيدة، كما كان يفعل دائما

في كل بلاد غريبة يحل فيها

وهكذا قدته مشيا على الأقدام

إلى متحف ألماني ممتلئ بالملوك

وتركته هناك

ناجيا بجلدي" [٢٩]

إن ما يكشفه هذا المقطع الشعري هو أن شخصية المتنبي الرمز المجسد للهوية الأصلية تشكو من علة ثقافية، فالشعر العربي الذي يعدّ أهم روافد الثقافة العربية وأحد العوامل المشكلة للهوية الأصلية " ينطوي على عيوب نسقية خطيرة جدا، نزعم هنا أنها كانت السبب وراء عيوب الشخصية العربية ذاتها، فشخصية الشحاذ والكذاب والمنافق والطماع ...هي من السمات المترسخة في الخطاب الشعري، ومنه تسربت إلى الخطابات الأخرى، ومن ثم صارت نموذجا سلوكيا ثقافيا يعاد إنتاجه بما أنه منغرس في الوجدان الثقافي"[٣٠] ، وقد سعت الهوية الاغترابية المتمثلة بشخصية الذات الشعرية القاصة / العزاوي إلى تسليط الضوء على هذه العلة ورفضها من خلال ترك المتنبي أمام المتحف الذي يرمز إلى الجمود والاندثار والهروب منه، ولعل العبارة الختامية (ناجيا بجلدي) توحي بحالة تخلص الهوية الاغترابية من هذه العلة.

يمكن مقاربة الهوية الاغترابية عند الشاعر العراقي الحديث بالهوية الإنسانية التي من أبرز سماتها تجاوز الحدود الجغرافية والعرقية واللغوية والثقافية والوقوف عند عتبة القيم الإنسانية العامة مثل؛ الحرية والعدالة والمساواة [٣١]، ولعل هذا ما نجده في قصيدة (ماو ماو) للشاعر عبدالوهاب البياتي.

" الموت، والإنسان من أعماق فطرته، يقدم في سخاء

شاراته الأخوية، الإنسان في ليل الصراع

شاراته في (كينيا) و(الملايو) و(القنال)

في ليل (كينيا) كالشعاع

في ظلمة الغابات والمستنقعات

حيث الأفاعي والظلال

والشمس والصبار والأفق المخضب بالدماء

والكادحون

والموت والإنسان والمستنقعات "[٣٢]

حاولنا في الصفحات القليلة المارة تسليط الضوء على مسألة الهوية عند الشاعر العراقي المغترب، تلك المسألة التي شغلت فكر هذا الشاعر ودفعته للبحث والتأمل فيها عبر نصوصه الشعرية، وقد كشف البحث عن أن عودة الشاعر العراقي المغترب للمكان الذي أسهم في تشكيل هويته الأصلية ليس فقط من

أجل الحفاظ على هذه الهوية، بل كان أيضا للتأكيد على الذات وإعادة التوازن لها إزاء تخلخلها في الغربة، ووجد البحث أن الشاعر المغترب سعى إلى ترسيخ اعتزازه بهوية المكان الأصلية من خلال تأثيث هذه الأمكنة برموز حياتية إنسانية وغير إنسانية تتعلق بهذه الهوية الأصلية.

تميزت هوية الشاعر العراقي المغترب بالانفتاح واستقطاب الخصائص الإيجابية التي تكشفت أمامها في هوية الآخر، فالهوية التي أنتجتها الغربة عند هذا الشاعر مزيج بين الهوية الأصلية وهوية الآخر، ولعل أهم الظواهر التي أنتجتها الهوية الاغترابية في النص الشعري الحديث هي ظاهرة ازدواجية اللغة التي تتحقق باستعانة الشاعر بلغة البلد البديل مع لغته الأصلية (العربية) في كتابة النص الشعري، و يمكن مقاربة الهوية الاغترابية عند الشاعر العراقي الحديث بالهوية الإنسانية التي من أبرز سماتها تجاوز الحدود الجغرافية والعرقية واللغوية والثقافية والوقوف عند عتبة القيم الإنسانية العامة مثل؛ الحرية والعدالة والمساواة.

الهوامش:

(١) ينظر: الاغتراب في شعر أحمد مطر، معتز قصي ياسين، مجلة دراسات البصرة، العدد ١٤، سنة ٢٠١٢: ٤٩.
(٢) الغربة في الشعر الجاهلي، عبدالرزاق الخرشوم :١٣.
(٣) الهوية الوطنية الحقائق والمغالطات، أحمد بن نعمان: ٢٣.
(٤) الهوية، اليكس ميكشيللي، ترجمة: علي وطفة: ١٢٩.
(٥) النص والهوية، محمد صابر عبيد:١١.
(٦) الهوية والاختلاف في الرواية النسوية في المغرب العربي، سعيدة بن بوزة، أطروحة دكتوراه، كلية الاداب، جامعة الحاج لخضر، الجزائر، سنة ٢٠٠٢ : ٢٨.
(٧) نظرية الادب، رينيه ويلك واستن وراين، ترجمة: محي الدين صبحي: ٥٣٢.
(٨) جماليات المكان، غاستون باشلار، ترجمة: غالب هلسا: ٣٩.
(٩) الأعمال الشعرية الكاملة، سعدي يوسف: ٦٨/٢.
(١٠) جمالية المكان في الشعر العراقي الحديث سعدي يوسف انموذجا، مرتضى حسين علي، رسالة ماجستير، جامعة فيلادلفيا، سنة ٢٠١٦ : ٢٤.
(١١)الأعمال الشعرية الكاملة، عبدالوهاب البياتي: ١/ ١٤١.
(١٢) نقد السرد السينمائي الواقعي، عبد الله الدباغ، مجلة الأقلام، العدد٦، سنة ١٩٩٠: ٦٨.
(١٣) تأبط منفى، عدنان الصائغ: ٦٩.
(١٤) جماليات النص الأدبي دراسات في البنية والدلالة، مسلم حسب حسين: ٣٨.
(١٥) تفسير الأحلام، سيجموند فرويد، ترجمة: نظمي لوقا: ٣٨.
(١٦) تأبط منفى: ٥٤.
(١٧) الأعمال الشعرية الكاملة، احمد مطر: ١٣٧-١٣٨.
(١٨) الهوية: ٨٤.
(١٩) ينظر: السلطة الدينية في شعر عدنان الصائغ، أثير محمد ووسن مرشد، مجلة كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، المجلد ٢٦، العدد٢، سنة ٢٠١٥: ٤٩٠.
(٢٠) صراع الهويات في الشعر العراقي المعاصر التفعيلة اختيارا (٢٠٠٣ – ٢٠١٥)، احمد جميل عبد الصفراني، رسالة ماجستير ، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة المثنى، العراق، سنة٢٠١٨ : ٢٧.
(٢١) المكان وتحولات الهوية عند محمود درويش، ليانة عبدالرحيم كمال، رسالة ماجستير، جامعة بيرزيت، كلية الآداب، لبنان، سنة ٢٠١٢: ١٨.
(٢٢) جماليات المكان: ٤١.
(٢٣) من تلك الأرض النائية، مي مظفر:١٦.

(٢٤) الأعمال الشعرية الكاملة: ٣/ ٢٠٧.
(٢٥) مقاصد المتكلم وأثر المقام التخاطبي في التلقي وإنتاج الدلالة قراءة تداولية في رسالة النعمان بن المنذر إلى كسرى، حفيظة روابنية، مجلة التراث العربي ،العدد ١١٦،سنة ٢٠٠٩: ١٠٥
(٢٦) اللغة العربية والهوية القومية، مها خير بك ناصر، جريدة الأسبوع الأدبي، العدد ١٢٢٥، سنة ٢٠١٠: ٤.
(٢٧) الأعمال الشعرية الكاملة، فاضل العزاوي: ٢/ ٨٧.
(٢٨) المصدر نفسه: ٢/ ١٤.
(٢٩) المصدر نفسه: ٢/ ١٤ -١٥.
(٣٠) النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، عبدالله الغذامي: ٩٤.
(٣١) ينظر: الهوية مفاهيم ثقافية، حسن المولى: ٧٣.
(٣٢) الأعمال الشعرية الكاملة: ١/ ١٧٨.

thabat almasadir walmarajie

1. al'aemal alshaeriat alkamilat , 'ahmad mtr , altubeat alththaniat , landan , ٢٠٠٣m.
2. al'aemal alshaeriat alkamilat , saedi yusif , manshurat aljamal , bayrut , ٢٠١٤m.
3. al'aemal alshaeriat alkamilat , eabdaluhab albayatii , almuasasat alearabiat lildirasat walnashr , bayrut , ١٩٩٥m.
4. al'aemal alshaeriat alkamilat , fadil aleizzawi , almujld alththani , manshurat aljamal , ٢٠٠٦m.
5. aightirab fi shaear 'ahmad mtr , muetaz qasi yasin , majalat dirasat albsrt , aleadad ١٤, ٢٠١٢m.
6. tabut manfaa , eadnan alssayigh , altabeat ٢, 'afaq liltawzie walnashr , alqahrt , ٢٠٠٦m.
7. tafsir al'ahlam , siajmunad farwid , tarjamat: nazmiun luqaan , dar alhilal , misr , ١٩٦٢m.
8. jamaliat almakan , ghastun baishilar , trjmt: ghalib halsa , t ٢, almuasasat aljamieiat lildirasat walnashr , bayrut , ١٩٨٢m.
9. jamalit almakan fi alshier aleiraqii alhadith saediun yusif 'unmudhajaan , murtadaa husayn eali , risalat majstir , jamieatan filadilfia , ٢٠١٦m.
10. jamaliat alnasi al'adbii dirasat fi albinyat waldilalat , muslim hsb husayn , dar alsiyab lilnashr , landan , ٢٠٠٧m.
11. alsultat aldiyniat fi shaear eadnan alssayigh , 'uthir muhamad shihab wuasin murshid mahmud , majalat kuliyat altarbiat lilbannat , jamieat baghdad , mujalad ٢٦, aleadad ٢, ٢٠١٥m.

12. sirae alhawayat fi alshier aleiraqii almueasir altafeilat aikhtiaraan (٢٠٠٣- ٢٠١٥) , 'ahmad jamil eabd alsafrani , risalat majstir , kuliyat altarbiat lileulum al'iinsaniat , jamieat almuthanaa , ٢٠١٨m.
13. algharbat fi alshier aljahilii , ebdalrzaq alkharshum , manshurat aitihad alkuttab alearab , ١٩٨٢m.
14. allughat alearabiat walhuiat alqawmiat , miha khayr bik nasir , jaridat al'usbue al'adbii , aleadad ١٢٢٥, ٢٠١٠m.
15. muqasid almutakalim wa'athr almaqami altakhayliat fi altalaqiy.
16. almakan watahawulat alhuiat eind mahmud daruish , lianat ebdalrhim kamal , risalat majstir , jamieat birzit , kuliyat aladab , ٢٠١٢m.
17. min tilk al'ard alnnayiyat , may muzafar , almuasasat alearabiat lildirasat , bayrut , ٢٠٠٧m.
18. alnasu walhuiat , muhamad sabir eubayd , almudiriat aleamat lilthaqafat alsuryaniat , aleiraq , ٢٠١٣m.
19. nazariat al'adab , 'awasat warayin warinih walik , trjmt: muhi aldiyn sabhi , almajlis al'aelaa lilthaqafat walfunun , alqahrt , (da.t.(
20. alnaqd althaqafiu qura'atan fi al'ansaq althaqafiat alearabiat , eabdallh alghidhami , almarkaz althaqafiu alearabiu , jidat , ٢٠٠٠, m.
21. naqd alsard alsiynamayiyu alwaqieiu , eabd allah aldabagh , majalat al'aqlam , aleadad ٦, sanat ١٩٩٠m.
22. alhuiat , 'aliks mikshilli , tarjimat: eali wutfat , dar alwasim liltabaeat , dimashq , ١٩٩٣ m.
23. alhuiat mafahim thaqafiat , hasan almawlaa , almajlis al'aelaa lilthaqafat , misr , ٢٠١٢m.
24. alhuiat alwataniat alhaqayiq walmughalitat , 'ahmad bin neman , dar al'umat , aljazayir , ١٩٩٦m.
25. alhuiat walaikhtilaf fi alriwayat alnasawiat fi almaghrib alearabii , saeidat bin bawzat , 'atruhat dukturah , kuliyat aladab , jamieat alhaj likhadar , ٢٠٠٢m.